

منشورات



سُحُورُ الْكِبَرِيَاءِ



حَقِيَّةُ قَطَاطِ الْفُجَى

قصص

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

حَقَّقَهُ قَاضِي الدَّوْلَةِ

مكتبة الدكتور

المؤلف : **عبد الله بن عبد الله**

الطبعة الأولى - 1000 نسخة

الكاغون 1374 و-ر- ديسمبر 2006م

مقشورات مجلة المؤتمر

حقوق الطبعة الأولى

محفوظة لمجلة المؤتمر

ردمك ISBN 9959-26-

الوكالة الليبية للتزقيم الدولي الموحد للكتاب

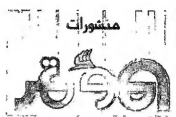
دار الكتب الوطنية - بنغازى - ليبيا.

هاتف : 9090509-9096379-9097074

بريد مصور : 9097073

البريد الإلكتروني :

nat_lib_libya@hotmail.com



ثقافية - سياسية - فكرية
سلسلة تعنى بتقديم نماذج من
الإبداع الليبى الحديث والمعاصر

المشرف العام

د . عبدالله عثمان عبدالله

المدير المسئول

محمود أحمد البوسيقى

المحرر :

مفتاح العمارى

المستشارون

أمين مازن

منصور أبو شناف

لوحة الغلاف : عمر الغريانى

الإهداء.....

إلى أسرتي..

إلى أصدقائي....

وإلى أحبائي أينما كانوا.

عيسى بن يوسف بن أبي العباس

الرجل الشجرة.....

"ويل لمن لا يرى سوى الأتعة"

كازانتزاكس

لم أكن أعرف إي شيء عنه.
لا أسمه ، لا عمله ، لا أين يسكن أو إي شيء
آخر

فقط كنا نلتقي صباح كل يوم عمل في الباص 216.
نهبط معا في محطة وسط المدينة ...أسارع الخطى نحو
عملي .

يتأني هو في مشيته متجها نحو ناصية شارع جرانت
حيث يقف هناك يتطلع فيما يبدو إلى بقعة في الجدار .
أغادر عملي الخامسة مساء .

أقف على الناصية المقابلة لانتظار الحافلة ..
الرجل لازال هناك واقفا كالأشجار .
تلك كانت البداية .

.....

أحد ما قد غرس الرجل في هذا المكان.
لم يكن يتحدث لأحد ولا أحد يتحدث إليه...
اعتاده المارة كما يعتادون البنايات و الأشجار.
لم نكن نعرف اسمه .
لم يكن في ملامحه ما يميزه فأطلقنا عليه لقب الرجل
الشجرة
مع مر الأيام أصبح معروفا لدينا بالشجرة.
كنت عند هبوب الرياح أتخيل رعشات أغصانه وفى
الخریف تتناثر أوراقه.
.....

لم يكن يتحرك أو يبتسم أو حتى يتحدث .
يمائل شجرة الصنوبر في الطرف الآخر من الشارع.
هل فقد شيئاً ماهل يبحث عن شيئاً ما
؟.....

سألت صاحب البقالة المجاورة. قال لي وهو يدعك
مؤخرة رأسه..... " لا أحد يعلم .. منذ حوالي ستة
أشهر جاء..ولم يتحرك من هنا .. لقد تعودنا عليه
صدقني تمضى أيام كثيرة أمر بجواره ولا أحس بوجوده
.. ستعتاده أنت الآخر".

لم أعتاده .. استغفرتني بوجوده .. ما الذي يفعله هنا؟
"ربما يمارس رياضة روحية " قال زميلي في العمل.

هل هو من رجال الله؟..... سألت.

.....

تخيلت أن الطيور تطعمه الحب.

وأن الأرض تسقيه الماء.

تساءلت.....

ماذا يعمل حين تُمطر؟....

أو حين تهزه بقسوتها الرياح ؟

هل يسأل عن أحد؟

هل يسأل أحد عنه؟

ثم ثم كيف يقضى حاجته؟.....

.....

"يقال أنه قد فقد ابنته الصغيرة في نفس الموقع. ومن

ذاك اليوم وهو يتطلع إلى بقعة الدم بالجدار"

قال سائق الحافلةيقال

.....

ماذا يفعل عندما يغادر المكان؟

هل لديه بيت؟

زوجة ..أخوة ..أبناء.....جيران...

اللجنة...لقد أصبحت مسكوناً به.

ماذا لو كان أصل الإنسان شجرة؟؟..

وهل توجد القردة إلا بين الأشجار؟

"لماذا تشغل نفسك بهذا الرجل ؟" قالت زوجتي .. "تذكر نحن غرباء هنا ولديك طفلة صغيرة..فأنتبه لعملك ودع الناس وشأنهم."

و.....

.....

قررت أن أبقى بعد انتهاء عملي .. أراقب الرجل علي أعرف متى يغادر المكان ، والى أين يذهب.
أبلغت زوجتي بأن لدي عمل إضافي وأني سأتأخر .
سرت لذلكفهذا يعني دخلا إضافيا قهرني الشعور بالذنبولكن.....

مرت ساعات طويلة من المساء وقطع من الليل.....
والرجل لا يتحرك ...
هذا مستحيل!..... لا بد له من الذهاب هنا أو هناك ..

لا يتحرك
لملمت أشتات هزيمتي وعدت مع آخر باص ينطلق من وسط المدينة
طالعتة من نافذة الباص ...واقف هناك كالأشجار.
لا يتحرك.....

أصبحت أكره الشجر ...سأقتلع شجرة يوما ما...

.....

أخبرت زوجتي بما حدث

لم أصدق ردة فعلها.
هستريا من البكاء .. والألم ... والصياح
حتى الصغيرة شاطرت أمها الصراخ ..
هل جننت أنت ؟..... صاحت .
وهل من الجنون أن نهتم بالأشجار؟؟؟... قلت.

.....

استدعاني لمكتبه
"أسمع يا ابني....." .. قال رئيسي بصوت وقور
" كنت من المتفوقين في عملك..... ولكنك مؤخرا كثير
الشرود... هل من مشاكل مع زملائك..مشاكل في البيت
.. مشاكل مالية"
ثم أردف بعد سكون ...أم هو ...الحنين إلى الوطن
؟.....

كيف لي أن أساعدك...؟..سألني...
شكرت له اهتمامه ... ووعدته خيرا.....
قبل أن أخرج من مكتبه قال لي ...
ثم... ما قصة رسومات الأشجار التي تملأ مكتبك...؟
.....

انقطعت عن الذهاب إلى العمل...
تجنبت وسط المدينة.
بقيت في البيت إحدى عشرة يوما .

لم أغادره مطلقا.
لم أحداث أحد.
فقط أطالع بقعة في جدار المطبخ.

.....

في اليوم الثاني عشر.....
غادرت زوجتي وطفلتها المنزل دون أن تودعني.
حلمت تلك الليلة بغابة من الأشجار تحتمي بي

.....

علمت أنني سأموت متأملا الأشجارا.

لوس انجلوس 1987

الرحلة...

(1)

دارنا العتيقة والباردة ، كانت على غير عاداتها ، تتوهج من الدفء. رائحة البخور تتبعث من كل مكان لتختلط بدفء المشاعر وبسرد الذكريات والتساؤل والانبهار. الكل يتأمل ويسأل ويتحدث.

الأعين ، الأيدي ، الأنفاس ، المشاعر.. كلها تتدفق وتتقاطع لتخلق ألفة لا يعرف لذة طعمها إلا من شد الترحال إلى غربة .. ثم عاد لأجابه.

البيت .. في حالة استنفار شامل .. حلويات، شاهی، قهوة .. فطور، غداء، عشاء.... سيل لا ينقطع من المودة والحبور. أمي تجلس على كرسيها العتيق جوار النافذة .. تلازمي عيناها أينما تحركت وكأنها تخشى أن تطرف فأغيب. أبي في قمة الانتشاء والافتخار ، أنه "الدكتور" الذي يعمل بالخارج قد عاد . يسترق النظرات بعيون ارتسمت فيها رقة وباحت بالابتسام.... أخي الصغير الذي لم أشهد ميلاده .. يطبق بيديه اليافعتين على يدي اليسرى بقوة.

هكذا هي الحياة ..النشوة في الغربة ... والأمن في الألفة ...

وحده لم يأتي ... وإن كان معي ، يسكنني منذ رحيلي
الأول ..
أنه شيخي

(2)

الجامع العتيق .. بقبابه الطينية . يتتسم عبق التاريخ...
تخفق نبضاته عند كل فجر.. فيؤم الجوامع .. وينسج
معها ترانيم عشق إلهية تردد صداها زقزقة العصافير
وصياح الديكة .. كل العصور مرت من هنا .. وحدها
باقية هذه القباب .. وباقي أنت يا شيخي..
سألته..

مولاي

قلبي يريد "النور"

عقلي يستجدي "المعرفة"

فدلني

فالدروب فقد استعصت علي...

و " سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا".

فقال وهو مطرق..

"أصمت لينطق قلبك. أغض عيناك لترى...و لا تبحث
لتجد"

(3)

قبلت يده الكريمة وجلست جواره وسألته...
من نحن يا مولاي...؟
قال بهمس مسموع وعينه تتبسمان..
- نحن ... الأشياء كلها .. ونحن ... لا شيء
نحن الشيء وضده
نحن الحقيقة و الوهم
نحن الحياة والعدم
نحن الفجور والتقوى
نحن نور لا نراه إلا إذا أغمضنا
فهل ثمة ضوء لا ينبع من العتمة؟.....
وقال:

"هناك أمور لا تستطيع أن تتعلمها بالكلمات ولكنني
سأحاول...

رجل ذهب للنوم .
فحلم بأنه فراشة تطير ..
تلهو بين الأشجار والنباتات ..
يغزلها النور فتقرب جذلانة متراقصة ..
يداعبها الهواء فتأنس في كفيه الحانيتين ..
انغمس الرجل في رقصه...
انغمس حتى نسى نفسه..
وعندما استيقظ في الصباح لم يعد يعلم..

هل هو رجل كان يحلم بأنه فراشة أم أنه فراشة كانت
تحلم بأنها إنسان ؟
فهل تعلم أنت من أنت ؟
غادرت خلوة شيخي ...
وفي الصباح التالي ..
رحلت يا مولاي ..
قدرت أن بُعد المسافات يجلي البصر .. وأن غياب
المألوف ينير القلب
و أن الغربة ستهدى لي معارفها .. فرحلت .
و عرفت مشقات قاسية ومكابدات عسيرة ..
سنوات أنقضت ...
احترقت فيها بالتساؤل ..
وأدمنت خلالها التأمل ...
وعرفت أن القرب في البعد
وأن شدة الظهور الاختفاء ..
كل ما لاح طيفه .. دعوت له بالسلام والرحمة ..
وتذكرت قوله ...
" كل مواضع الأرض لن تدلك على حقيقة لازال قلبك
غافلا عنها ...
فأصمت لينطق قلبك . وأغمض عيناك لترى ... و لا
تبحث لتجد "

سيد الموقف.....!

أختلط ضجيج الازدحام بصوت المذياع وامتزجت نداءات الباعة بزعيق نادل المقهى لتشكل لوحة صوتية تشع الأمن والدفاء وتقلص الشعور بالوحدة الذي يمزق القلوب بأظفاره الحادة. حلقات الدخان الكثيف تتسابق نحو السقف العتيق دون جدوى ودون انقطاع. غصت في مقعدي المعتاد، النقطة شفتاي لفافة تبغ بينما جالت عيناى بحثا عن أثر لجريدة أو مطبوعة تركت لوحدها. رائحة القهوة تداعب أنفي. أبحث عن النادل الذي لا يعيرني اهتمام.... يدها تعبثان بمؤشر المذياع بحثا عن محطة... أزيز..تشويش..... ضجيج..... "أجيب منين عمر يكفى".... تترنم المطربة... تخيلت طوابير أمام معمل أو متجر لبيع الأعمار الإضافية.. - والنبي "عُمر ونص" من النوع الممتاز بس وحياة أبوك تلفه كويس.. ده عشان الست بتاعي... - ما ألقش عندك... "عُمر.....بس يكون " نص " عُمر ..."

دوت ضحكتي.... اهتز بدني. نظرة استتكار من البدين ذو اللحية.... كدت أقول له نحن في مقهى يا هذا ولسنا في بيتك.... ولكنني أثرت السلامة.

النادل بإصرار يبحث عن محطة... أزيز .. تشويش
.... جلبة ...

- " لا زال التعادل هو سيد الموقف في هذه المباراة"
.... آه كم أكره مثل هذه الكلمات .. "سيد الموقف" .. إنها
من النوع الذي لا يرحم.. تلتصق بالذهن وتأبى
مغادرته.. تلف.. تدور... كنحلة في برطمان. لا وسيلة
"لإنقاذ الموقف" سوى إنهاكها بسرعة الإستعمال....

- الله سيد الموقف في الكون.
- أمريكا سيدة الموقف في العالم.
- زوجتي سيدة الموقف في البيت.. مهلا.. أنا.. لم أتزوج
بعد.. وجدت العروس ولم أجد الأسباب. قالوا لي تزوج
لترضى عنك الست الوالدة..... هذا سبب وجيه حقا
لورطة العمر....!.. ولكن والدتي ماتت رحمها الله من
زمان. ها... تخلصت أخيرا من "سيدة الموقف".
اللجنة.... أنها تلتصق مرة ثانية.... القهوة تتجول مع
رائحتها قرب الأنوف.

يدخل شاب إلى المقهى، يبدو لي وكأنه... "سيد
الموقف". نحيف، كثيف الشعر والنظارات، يحتضن
مجموعة من الأوراق بينما يتدلى من أصابعه قلم حبر.
يتمهل بحثا عن مقعد، يجلس وينهمك في الكتابة.
الكتابة حدث غير مألوف في هذا المقهى. استرعى

اهتمام الآخرين، كل "سيد" يحاول في أعماقه أن يفسر هذا "الموقف" نطقت عينا الأول....
"هذا الشاب يبدو غريبا عن البلد، وهو لا ريب يكتب رسالة لأسرته".

أسر الثاني في نفسه
"هذا الشاب بدون شك عاطل عن العمل، ويبحث عن وظيفة ما..... و هو يكتب الآن طلبات إلى جهات الاستخدام"
رائحة قهوة محروقة... يبدو أن "شوام"...من رواد المقهى.....
تحدث الثالث في صمته:
".. لا ريب أن هذا الشاب يكتب قصائد عاطفية.. أنا أعرف هذا النوع جيدا".

همس الرابع لرفيقه بينما ظلت عيناه تراقبان الجميع :
" أكيد يكتب في تقرير في عباد الله ،..... ناس معادش" ترحم في بعضه.....".

حدث السادس نفسه :
" هذا باين عليه من تجار الشنطه..ويكتب في طلبيه قبل ما يسافر..".

نهض "السيد". ترك ثمن القهوة وغادر تاركا أوراقه وراءه. انتبه النادل لما حدث، أنتزع حزمة الورق

وخرج يعدو وراء الشاب. لم يتمكن من الوصول
إليه.... فعاد... تأمل الأوراق.... امسك بالقلم محاولاً
الكتابة به. ثم قال بصوت عال:

" أما ناس داخة.....
القلم ما فيش حبر.....
و الأوراق..... فاضيه..."

صوت الناس

"أنا لست صوتاً لمن لا صوت لهم . الناس ليسوا بلا

صوت .. نحن صم . نحن لا نسمعهم ."

أرييل دورفمان

الجنرال والقرء

سبتمبر 1973

كانت أشعة الشمس تتسرب من خلال ثقب في الستائر السوداء الجاثمة على نوافذ الغرفة لتغزل خيوطاً من النور تعكس أضواء خلاية في كوب الماء القابع على طاولة سوداء اللون في الزاوية اليمنى من هذه الغرفة.... لماذا يصر الجنرال على استقبالنا في هذه الغرفة المقيتة...؟؟.... الغرفة واسعة أعدت من قبل قيادة الثكنة لتكون مكتب للاستقبال وغرفة للأكل. يتوسط الغرفة مكتب رصاصي اللون تناثرت عليه عدة هواتف، أجهزة اتصال، جهاز تسجيل وبعض الملفات. عدد من الكراسي تتوزع في المكان دونما انتظام. رائحة الرطوبة والغضب تملأن الغرفة فيما تزين أحد جدرانها صورة بالية لأحد أباطرة روما.

كنت واقفا في انتظار أوامره. وكان هو واقفا أمام مكتبه. الصمت المعهود الثقيل الذي يسبق الأوامر الحادة خيم على المكان.

ألمح بطرف عيني الألوان التي ما زالت تتراقص في الكوب. وبطرف العين الأخرى أراقب انغماسه الكلي في فحص الصورة الملقاة على مكتبه. الرائحة اللعينة تطبق على أنفاسي.

الوقت يمضي مرهقا ومملا...

أنا في وقفتي .. والجنرال في تأمله....

دونما صوت انساب جسمه ليسقط على كرسيه.

مضى دهر.. وأعقبه آخر والسكون المطبق لا يقطعه سوى ثقل أنفاس الجنرال المنهمك في التأمل.

يبدو من بعيد كعاشق ولهان أو كعابد متصوف.

تخيلات روميو جاثما على ركبتيه... كتمت ابتسامه لاحت في أفقي.

فجأة دفع كرسيه للخلف وارتدى بظهره على الكرسي وعيناه تنقبان السقف العاري إلا من ثريا صغيرة بائسة.

حرك رأسه مرتين ثم أنحنى للأمام. مد يده ليلتقط الصورة. قربها من وجهه حتى غطت ملامحه.... نفذ

صوته من الصورة... تيبس جسمي وتبعثرت حواسي.

- ماذا يريدون مني...؟...ماذا...؟ قال هادراً..

بالطبع لم أرد.

كنت أعرف أنه يفكر بصوت عال ولا ينتظر رداً من أحد...

أبعد الصورة عن وجهه ورماها نحو الملف الملقى على مكتبه.

لماذا يفعلون ذلك بي ؟.. لقد فعلت لهم كل ما يريدون وأكثر ..!

لماذا يتركون هؤلاء القردة يهاجموننا في جرائمهم..؟
تكاثر قطرات العرق على وجهه. أستند بيديه الاثنين على حافة المكتب .. دفع رأسه ببطء إلى أعلى....
التفت نحوي ونظر إلي وكأنه الآن فقط قد أحس بوجودي..

- خذ هذا الملف إلى الكولونيل أسكوبار .. أعلمه بأمر هذا القرد .. أخبره أن أمر هذا القرد يهمني شخصياً..
تحركت لالتقاط الملف.. رمقت عيني كوب الماء
غابت الألوان عنه.

حييته واتجهت نحو الباب المغلق. قبل أن أمد يدي لفتح الباب، استدرت وحييته مرة أخرى..
لم ينتبه .. لانشغاله بشرب كوب الماء.
خرجت متجهاً نحو الباحة الشرقية للكنيسة حيث يقع مكتب الكولونيل أسكوبار ...
أحسست بثقل الملف.

تطلعت حولي ثم اتجهت عيناى ببطء نحو الاسم المكتوب عليه أرييل دورفمان....
لم يعن ذاك الاسم شيئاً لي.

شدت من قبضتي على الملف ... ثم أكملت سيري نحو قسم المهام الخاصة.

وعند المدخل .. توقفت برهة....
باب أسود اللون .. كرية الشكل ... يزيد من قبحه
حجمه المخيف.. لافتة صغيرة بحروف بيضاء
قسم المهام الخاصة
اقشعر بدني .. ووجدت نفسي أردد في صمت...
يا ألهي... خذني من هذا المكان!....!

لماذا أنا في المنفى؟

في الأيام الأخيرة من شهر أغسطس/ آب 1973 كان المسرح السياسي في سانتياجو تشيلي ينذر بما هو قادم. الاقتصاد الوطني في حالة انهيار شامل، إضرابات عمالية، توقف لكل المعونات الخارجية، نمو هائل في نسبة التضخم، نقص في السلع الأساسية، وانتشار للشائعات حول انقلاب وشيك بتخطيط وتدبير من الولايات المتحدة وحول السقوط المحتم للحكومة الشرعية المنتخبة. بدت سانتياجو آنذاك كمدينة في حالة نفسية قلقة وتوتر دائم.

في عام 1970 كان الطبيب سلفادور الليندي قد تولى لتوه مقاليد الحكم في البلاد كأول رئيس اشتراكي يأتي عن طريق صناديق الاقتراع. كان يحلم وثلة من رفاقه بالوصول إلى العدالة الاجتماعية عن طريق

السوسياليسمو باسيفيكا ("الطريق السلمي إلى الاشتراكية"). بهدف الوصول إلى توزيع أكثر عدلاً لمصادر البلاد و تأمين الصناعات الرئيسية.

وكانت الإدارة الأمريكية برئاسة نيكسون تضع الخطط كما كشفت وثائقها فيما بعد لخلق الظروف الملائمة لزراعة النظام ولتمهيد الطريق لقدام العسكر على ظهور دباباتهم.

في إحدى أمسيات ذاك العام، بإحدى ضواحي العاصمة جلس الأستاذ الجامعي الشاب أريل دورفمان إلى آتته الكاتبة وراح يطبع بأنفاسه المحمومة مخطوطة ستجعل أسماً له في عالم الأدب كمتقف يساري عندما رن جرس الهاتف. أخبرته زوجته أنجيليكا وهي تلهث أن المكالمة من الرئيس المنتخب الليندي ..! . دامت المكالمة ثلاث دقائق ليتحول بعدها الأستاذ الكاتب إلى مستشار ثقافي للرئيس الجديد. يا إلهي.. ما أسرع التحولات في هذا البد. لم يكن البروفيسور الشاب يعلم أن هذه هي أول التحولات وأسهلها.....!

كان أخطر تلك التحولات ما حدث صباح 11 سبتمبر في تمام الساعة الثامنة صباحاً عندما استيقظ دورفمان إلى هدير الطائرات التي كانت تحلق على ارتفاع منخفض..... انقبض قلبه بشده وهو ينظر إلى ساعته .. يا إلهي .. صاح في هلع.. أنجيليكا ... اتصلي بالقصر .. اتصلت زوجته مرارا... لا أحد يجيب ... ثم انقطعت الحرارة من الهاتف... لم يعد الأمر يحتاج إلى

المزيد من التخمين.... لقد هاجم الجيش القصر وأحتل
المرافق الهامة....

سيذكر آريل فيما بعد أنه قفز خارج سريره بشكل
مسعور، بدأ باللّبس ثم أخبر زوجته أنه ذاهب للقصر..
تعلم هي أنه لا سبيل إلى إيقافه.. قررت أن تذهب
معه... ذهباً معاً... قطعاً شارع الأميذا الذي يشطر
سانتياغو... إلى ميدان إيطاليا الذي يبعد حوالي الميل
عن القصر المحاصر... كانت هناك تجمعات للناس
وحواجز مكثفة للشرطة.. أصوات الرصاص والقذائف
تسمع بوضوح وكان المرء يرى بوضوح سحب الدخان
والحرائق.. انتاب التوتر والفرع رجال الشرطة و تفرقت
الناس إلى مجموعات صغيرة.. أدركا استحالة الوصول
إلى القصر....

ستذكر يا دورفمان ذاك النهار... "كان بإمكاننا سماع
إطلاق النار، وأن نرى الناس يتقاذفون بحثاً عن ملجأ.
ولكننا لم نَعْرِفْ آنذاك بحجم خسارتنا - أدركنا فقط أن
ثمة انقلاب يحدث. أه يا أصدقائي.. كانت تلك لحظة
اتخاذ القرار المرء.. الحياة أو الموت.. وأي حياة وأي
موت ... أفكر في بعض الأحيان.. أن ربما كان في
إمكاني الوصول إلى المحاصرين لو استعملت بعضاً من
الشوارع الفرعية. ربما.... ولكني لم أكن مجنوناً أو
عاقلاً بما فيه الكفاية لأعمل ذلك... توقفت للحظات
لأقرر.. نظرت خلفي ... ثم نظرت لأنجيليكا،
وبعد ذلك نظرت صوب القصر... وقررت العيش."

وستنظر خمسة وعشرون عاما لتقول " في تلك اللحظة... الحياة أردتني ... العنف تجنبني التاريخ أعطاني ميلادا جديداً.. والموتُ قرّرَ أن لا يأخذني." ولكن ..لازلت حتى الآن أتساءل...هل كان يجبُ أن أكونَ في قصر لامونيدا مع الليندي؟

تلك اللحظة شهدت ميلاداً جديداً لك. ستذكر لأصدقائك فيما بعد.. أن تلك اللحظة غيرت كل شيء في حياتك. حولتك إلى شخص ثنائي اللغة متعدد الثقافات .. جعلت لحياتك هدفاً وحيداً ...أن تجعل قصة تشيلي وما حدث فيها مسموعاً للعالم ... لن يغيب صوت المخطوفين والمذعورين والمُعذّبين . كتبت الراويات ، المسرحيات ، المقالات ، الشعر ، القصص القصيرة، وشاركت في الندوات واللقاءات الصحافية لترسم صورة بلد يعاني تحت وطأة دكتاتورية قاسية متوحشة تدعمها قوى دولية نافذة. بكلمات أخرى أمتزج العمل والذات والوطن ليجلبا لك شهرة لم تسع إليها.

ولكن

بين الحين والآخر ... تقتم التساؤلات لحظات صفائك.... لماذا أنا في المنفى؟.. لماذا أنا بعيد؟ ... لم لم أمت مثل الآخرين ؟ وستطاردك لسنوات عدة. تطاردك بلا رحمة حتى تلتقي بفرناندو فلويس الرجل الذي كان يرتب اللقاءات والاجتماعات في قصر الرئاسة..... وستسأله ليجيبك بكل بساطة..

- لقد شطبت أسمك من قوائم الحضور في ذاك اليوم ؟

- ولكن لماذا؟... ستلح بنبرات عجولة... لماذا...؟..
فيصمت دهرأ.... وهو يعيد ترتيب تلك الأحداث في
ذاكرته ... ويُجيب.
- "حسنا، كان لابد من أن يعيش أحد ما... ليروى ما
حدث".
لقد اختارتك الأقدار لتخبر العالم أن هناك من يتحدث في
تشيلي وأن عليهم الإصغاء لتلك الأصوات.

بنغازي 2006

برتقالي

"أنا لا أشارك أسرى جوائنتامو معتقداتهم ،
ولكنني أرفض وبإصرار معاملة حكومتي
لهم وطريقة احتجازهم الغير إنسانية ."

جيم شيدنهم - كاتب أمريكي

تناسب ..
الأصفاد..
شبابا..
شجعانا..
أما....
الأساور...
للعوانس
أو
الشابات...
الجماليات.

مسلم دوست عبد الرحيم
شاعر حجز في جوائنتامو

عاد دوست.
لم يصدق أحدا في كل القرية نبأ عودته. لذا تقاطروا
جميعا إلى بيت أبيه لرؤيته.
عاد دوست.

نحيفا .. حزينا... واجما... زائغ النظرات. لا أحد يعلم
لماذا ألقى القبض عليه .. وبالتأكيد لا أحد يعلم لماذا
أطلق سراحه. دوست لم يتحدث عن هذا الأمر مطلقا.
كما أن أحدا لم يتوجه إليه بالسؤال. فقط تفحصته
الأعين المذهولة . فقد الكثير من وزنه .. امتنع لونه ...
وبدا شكله مختلفا دونما لحيته المعهودة. ما لفت انتباه
الجميع هو حذائه البرتقالي الذي ظل مرتديه حتى حين
أداء الصلاة. البرتقالي لون غير معهود في القرية و لا
ينسجم مع الثياب التقليدية.

أثناء الزيارات كان أبيه يقوم بشكر الحاضرين و كل من
بذل جهداً من أجل عودة ابنه.

مرت الأيام... قل عدد الزوار إلى بيت آل دوست... و
شيئا فشيئا عادت الحياة إلى سوابقها. عاد دوست إلى
العمل في حقل أبيه وإلى كتابة الأشعار... وإلى الجلوس
طويلا عند نبع الماء. شيء واحد ظل يلفت الانتباه إليه
.. هو إصراره على حمله لحذائه البرتقالي أينما ذهب.

رسالة من (1)

عزيزتي أيمي

اعذريني لأنني لم اكتب لك منذ عدة أسابيع. فوضعي هنا مريع .. لا يحتمل ..

أتذكرين حماسي للقدوم إلى هذا المكان وكيف تطوعت ... أنا الآن ابحت عن انتقال إلى إي مكان بعيدا عن هنا ... الآن صار حلمي الخروج .. الهروب .. الفرار من قلعة الموت هذه.... هنا للموت بيت وقلعة... للموت طعم ولون وصوت و رائحة ...
أراه أينما سرت.

في الأحداق الغائرة .. العظام البارزة .. ألحي الكثيفة ..
في الأجساد الرثة ..

أسمعه في الصمت الموجه .. في اضطراب السلاسل والقيود....

تسأليني أن أصف لك المكان !...

هنا نحن بلا ملامح ...

سجن بلا ملامح...

مساجين بلا ملامح...

وسجانون بلا ملامح ... كيف لي أن أصف لك يا أيمي...؟

أيمي ... هذا الجحيم بعينه.

أمطرت البارحة بكثافة على غير عاداتها..فزاد اكتئابي
هذا الصباح سألت السرجنت وولورث ... أن كان قد
بت في أمر انتقالي ... استمع صامتا ... ثم تحسرج قائلا
.. "ما الذي استطيع أن أفعله لك ؟". ..يا.....".
"لا..شيء..لا شيء على الإطلاق"...

ثم أردف بنبرة استهزاء .. "أنت من فلوريدا أليس
كذلك....؟؟"

لم أرد عليه ، انطلقت نحو الباب لأسمعه يحدث نفسه
بنبرات حادة

"تبا لهم..! لم لا يرسلون لي رجالا من وايومينج أو
أريزونا".

خلال الخمس أشهر الماضية .. شاهدت تسع حالات
جنون و ثلاثة حالات انتحار ... كان أغربها انتحار
ذاك ..الذي كنا نسماه "الصخرة" ... قيل لي أنه لم ينطق
بكلمة واحدة منذ إلقاء القبض عليه ... أخيرا انتحر
..خنق عنقه بحزام ..وانتهى أمره ..رجل مقيد
بالسلاسل ..ولم يتحرك من مكانه منذ أشهر ..ويرفض
الطعام ينتحر بهذه الطريقة ..ألا تجددين ذلك غريبا....
ولكن لا غرابة في الجحيم.

اعذريني لأنني لم اكتب إليك منذ عدة أسابيع.

فالوضع هنا مريع ..لا يحتمل. ..

اعذريني لأنني لم أسألك عن حالك وكيف أنت...هل
نجحت في امتحان الترقية؟ ..هل تمكنت من دفع

أقساط البيت والسيارة...؟..وكيف أهلك والأصحاب
والجيران...؟

آه..يا أيمي ... سبعة أشهر ثم نكون معا... هل حقا
سنكون معا...!! لا أعلم ...

..لقد تغيرت في أشياء كثيرة ، ولكن حبي لك لم
يتغير...

فقط لم أعد أطيق السكون ..والبؤس..والحزن المتعبس
في العيون..

لم أعد أطيق اللون البرتقالي... لن أتمكن من أكل
برتقالة واحدة ما تبقى لي من عمر....

أتساءلكيف لي أن أعيش في فلوريدا بعد الآن
*.....

قبلاتي...وسلامي.

قبل أن أنسى...ابعثي لي صورة بقصة شعرك الجديدة
...أراهن أنها تلائمك جداً.

.....

رسالة من (2)....

روزا الغالية.....

كيف أنت يا حبيبتي ..وكيف أولادنا ...كيف حال أهلي وأهلك؟.

شاهدت صوركم التي بعثتها لي.... الشقي "جو" يبدو أطول الآن مما كان في السابق...أما الصغير ستيف فلم يتغير..شعر كثيف على رأسه وابتسامه حلوه على محياه....أما أنت ... أنت تبدين أكثر نحافة ..هل هي من الحمية أم من اشتياقك لي؟..... يا ألهي كم أشتاق إليكم ...بلغي الأطفال أنني سأخذهم في رحلة بالصحراء لأيام عدة ...ربما نصطحب معنا العم دوين ...ما أخبار ذاك السكير...! لقد اشتقت إليه والى كرشه المتهدل كشفة زنجي...!..... بلغي ذاك اللعين سلامي.

أرجو أن تهتمي بصحتك ووزنك. كيف حال القس كونراد. بلغيه كذلك سلامي وبلغيه لبقية المترددين على الكنيسة ، هل لازلت توظفين على أخذ الأولاد معك في الأحاد. ؟

أنه خير ما تفعلين.

عزيزتي روزا....أنا هنا بخير. أحب عملي في معسكر الأسرى هذا. وأنهك نفسي في أداء واجبي. نحن هنا نوّدي واجبنا لنحميك وأمريكا من هذا الوباء ونعامل هؤلاء المرضى كما يجب. لقد ازددت احتراما لبلدي

ولديني عندما تعاملت مع هؤلاء الشياطين. كم أتمتع
بالبصق في وجوههم؟ وقهر نفوسهم المسكونة بالحد.
لقد كلفني السرجنت وولورث بالتحقيق مع أشرسهم ،
هذا المسمى "الصخرة" ... هل تعلمين ميا جرى له
..ولكن كيف لك أن تعلمين ؟ دعينا من ذلك.
أنا فخور بدرجات جو في المدرسة ، وإن كان يضايقني
عدم التحاقه برياضة ما . أقنعيه بذلك لا بد لنا من أن
نكون أقوىاء لنحمي أنفسنا فهذا العالم كما تعلمين مليء
بالأشرار الذين يكرهوننا.
قبلا تي لك ..وللأولاد...وليحفظ الله بلدنا من هؤلاء
الأشرار.

.....
* فلوريدا هي عاصمة البرتقال في القارة الأمريكية.

عفوا هدى.....

رمشت عيناها قليلا من حرقه الشمس فأغمضتهما.
لم تكن إغماضه كاملة.
فقط تلامست الرموش فتبدى لها طيفا من الألوان.
أه ما ألد القدوم للبحر ..
ما أروع ضفائر الشمس الذهبية
وما أحلى زرقة الماء.....
وما أبدع صفرة الرمال.....
وما أجمل تبدل الأمواج. ألوان في كل مكان.
قالت جدتها لها "لا معنى للبحر دون امتزاج
الألوان..أذهبي هناك لترسمي.....فأنا أعلم عشقك
للرسم ..".
أما أخيها فقد قال "غداً سأشتري لك علبة أخرى من
الألوان ..".
فتحت عينيها وتأملت ..تمايل الأجساد ... أصوات
الأطفال .. زرققة ضحكاتهم...انهماك الأمهات.....
شرود الفتيات...
وقفت وسارت نحو ما بدا لها كقطعة ورقة تشاكسها
الرياح ...تعالى أيتها الورقة تعالي.....لن تكون بعد

اليوم باهته ..سأمنحك الحياة ..سأعطيك كل ما يشتهي
قلبك الورقي من ألوان....

تعالى.....اقتربي... لا تخافي .

ما أجمل الألوان

سنرسم معا شمسا كبيرة .. تطارد المياه والأمواج
اللاهثة وستحط بجسمها الضخم على صدر الرمال...
ربما ستسخر رفيقتي في المدرسة من الرسم ولكن لا
يهم.....

واصلت هدى اقترابها من الورقة التي أعياها الحراك..
أمسكت بها ..احتضنتها وغابت معها في لحظات من
الحلم بالرسم و الألوان...
فجأة ..

دوى صفير قاتل ..

أعقبه اهتزاز مريع ... اهتز كل شيء حولها .. تمزق
البشر...تراجعت الشمس وأضطرب الموج ..واصفرت
المياه.. تلاشى كل شيءاختفى كل شيء
لا ألوان فقط صرخة حزن ...ودماء.

.....

عفوا هدى

لا ألوان...

فكل ما لدينا باهت...

أشعارنا ..

أنوارنا ..
شمسنا ...
صدقنا ..
كذبنا ..
زعمائنا ..
كتابنا ...
كل ما لدينا باهت...
فمنذ قرون..
منذ قرون...
تم حجب اللون عن كل العيون...
.....

عفوا هدى..
فمنذ قرون ...
ونحن ننسج بالأشعار أسمال الهزيمة...
منذ قرون...
لا نمارس خيرا أو رذيلة...
منذ قرون
ونحن في كهف نيام....
لا حربا نخوض...
و لا نحن نحيا السلام ..
.....

آه ... هدى

لو كانت الأحجار
لدينا...
لبادلناهم...
غارة بغارة...
حزنا بحزن....
سطرا بسطر....
وعذابا .. بعذاب...
ولكنها ...
أحجار لعينة ...
تعشق الأرض
إن اقتلناها..
صارت ...
في أيدينا ... تراب.
.....
عفوا ... هدى
لا ألوان لدينا..

هدى طفلة فلسطينية فقدت كامل أسرتها على شاطئ غزة اثر سقوط قنبلة
من المدافع الإسرائيلية.

أصفر.....

اللون أبيض . الشعر أصفر . والاسم زينب .
تتهادى أراها....فيتبعثر قلبي .
الوجه بدر ..العيون خضر .. والاسم زينب
تسكن حارتنا ..وقلبي .
لا تعير أحدا اهتماما . " أمها انجليزية"....قال احد
الجيران عندما سألته عنها .
"كانت عايشه معنا هنا .. فجأة سافرت وسابت البنات
لأبوها .. ما أنت عارف الانجليز!!!!!!"
صاحب البقالة قال وهو يغمز بعينه ... "أمها من يهود
مصر اللي راحوا ... إسرائيل.."

.....

بيتهم بالناصية .
فيلا قديمة متربة تطوقها أشجار كثيفة..سور عالي
وهدوء قاتل .
تأملتها طويلاً .. لا شيءسوى نباح كلب بين الحين
والآخر...ورائحة شجر الياسمين
ما أعذب الياسمين .
في الليل ... نور وحيد أصفر متهالك...

لا أصوات .. لا زوار
فقط .. شعر اصفر وحيد يتهدى ...
"أبوها كان باشا ...أممت الثورة كل أمواله فأعتزل
الحياة .. عايش مع بنته وكلبه".
لا أذكر من قال ذلك

.....
استوطن الحزن عيوني..
وقلبي ..عانقه عذاب.
شعرها تعانقه شمس ...
وثغرها ... كان العذاب.
ترصدها ..
خرجت لأراها... ومضة في العيون .. تلهف..ارتباك
...حيرة ...
قالت لي الجارة .."يا أبنى دي عمرها ما كلمت حد..
سيبك منها"

.....
عشقت اللون الأصفر....
حجرتي صفراء...
حذائي أصفر..
قميصي أصفر...
صاحبي أصفر...
قهوتي صفراء...
أمي قالت .. " أنت وشك أصفر كده ليه..
عانقتها وقبلت يدها الصفراء:

.....
غرفة مستطيلة ضيقة تضيئها أنوار عدة وتعج بأطياف

...
همهمات ... أصوات .. وشوشات
تقترب ... تتلاشى ...
سواد .. بياض ... أضواء همس ... دعاء
يقترب .. يتلاشى ...
عيناى متعبتان ...
باعدت جفوني بتثاقل ...
أطياف حنونة تهتز أمامي مستني أيادي ..
لامسني صوت هامس كحفيف أوراق الشجر
"الحمد لله يا أبني .. أنك فتحت عيونك ..."
أمي!
"ربنا رحمته كبيرة .. دا أنت بقالك أسبوع ..
في حمى رهيبة .. لا تتطق سوى ... زينب
زينب ...
... زينب."
لملمت ذاكرتي أشياءها
أصوات .. صور .. تقترب .. تتلاشى ..
.. كنت في طريقي للجامعة ..
عرجت على السيدة زينب ..
أطلت البقاء ...
صليت كثيرا ..
دعوت كثيرا

خرجت ..
زحام هائل .. ضجيج لا ينتهي .. سيارة قادمة ..
صوت فرامل قاسي ..
سقوط على الأرض
صرخة ... ألم ...
أصوات صور .. لم تقترب .. تلاشت.
تلاشى الكون بأسره ..
وبقى طيف أصفر ..
ورائحة ياسمين .

القاهرة-2006

عيون الكبرياء

مهداة إلى روح السيدة كوريتا سكوت

كبح العظيمة .

بابا "جو"....

شدني من يدي ونحن نعبر شارع التلغراف بجوار
جامعة بركلي الشهيرة . وقال . "تعال معي .. سأعرفك
هذه المرة على بابا جو .. أنه ليس بعيدا عن هنا ... لن
تتدم لمعرفته" ...

أمام دكانة صغيرة لبيع المواد الغذائية كان ثمة رجل
أسود يرتدي نظارة سوداء كبيرة الحجم من النوع الشائع
آنذاك . ابتسامة واسعة دافئة ارتسمت على وجهه وهو
يرحب بنا . تحدثنا قليلا ثم دخلنا لنبتاع بعض
الأغراض . لم يكن ثمة ما يميز هذه الدكانة عن غيرها
من المحلات الصغيرة سوى وجود بابا جو الضريع

الباسم الحلو الحديث والشغوف بالعرب....و..وجود
صورة كبيرة تزين احد الحوائط وتجمع بين بابا جو
ورعط من القادة السود لحركة الحقوق المدنية .أتذكر
الآن منهم ... أندرو يونج. .. جيسي جاكسون .رالف
ابيرناثي.. وآخرون..صفين من الرجال...تتوسطهم
امرأة سمراء وقور .ذات ابتسامة فاتنة وشعر أسود
طبيعي التجعيد..... لها عيان تشعان أنفة وكبرياء...
- من هذه المرأة .. سألت رفيقي ..
فرد قائلاً .. إنها زوجة مارتن لوثر كنج .. أنها كوريتا
سكوت كنج.

.....



أنت زوجتي.....!

نظرت إليه عبر الطاولة هما يتناولان العشاء معا ،
المطر ينهمر بشدة في الخارج وهي يسودها الارتباك
والخجل ، قالت لنفسها " هذا القس لن يكون الرجل
المناسب لي فهو يبدو قصير القامة وعديم الإثارة " ..
أما هو فبادلها النظر بتمعن وهدوء وتحدث بصوت
جذاب عن حياته وأحلامه وطموحاته ..قالت فيما بعد
لأحدى صديقاتها " يا ألهي كلما تحدث هذا الرجل ..

كلما ازدادت أفتنانا به .. يبدو لي الآن ..صادقا جداً و
بليغا جداً.... يا له من عقل.....!"

بعد العشاء انطلقا نحو المعهد الذي كانت تدرس به ...
كسر السكون وهو يقول .."أتعرفين ... أتعرفين أنك
تملكين كل ما كنت أرغب في العثور عليه في امرأة؟ "
.. اتسعت عيناها من الدهشة فردت قائلة .."يا إلهي أنت
بالكاد تعرفني"... فقال "الأشياء الأربعة التي طالما
حلمت بأن تمتلكها زوجتي ... هي جميعا لديك ...الخلق
والذكاء والشخصية والجمال... أتعرفين!"

- ماذا ..

- ستكونين يوما ما زوجتي..!

شهر عسل لدى حانوتي...!

في قبض شهر يونيو من العام 1953 كان بيت آل
سكوت غاص بالضيوف الذين ارتدوا أزهى
ملابسهم..وعبقوا البيت بالروائح الجذابة. السرور كان
طاغيا...فالיום ستترف العزيزة كوريتا لزوجها
مارتن...لم يكن أحد من هؤلاء القادمين لحضور عقد
القرآن ولا العروسة ولا أب العروس الذي كان يسير
بها بخطوات وثيدة على أنغام الموسيقى ليسلمها إلى
زوجها حسب مراسم الزواج يحلم أن هذا الشاب

الممتلئ ذو العينين البراقتين سيحفر أسمه في التاريخ
وسيقود أمته إلى الخلاص من رق العنصرية.

ولكن كانت لذلك القس الشاب الذي يدرس الدكتوراه
بجامعة بوسطن أحلاما تسع الكون كله وتسع بالطبع
زوجته الشابة السمراء التي ولدت في بيرى كاونتي في
ولاية الآباما حيث كانت سياسة الفصل العنصري بين
السود والبيض تمارس بتعصب وتطرف شديدين.

بعد مراسيم الفرح أنطلق العروسان ليقضيا شهر العسل
في بيت صديق لهم كانت مهنته حانوتي .. آنذاك .. كان
الحصول على غرفة في فندق من الأمور الغير مسموح
بها للسود..... علق كينج مازحا... "ها نحن نبدأ حياتنا
الزوجية من حيث اعتاد الآخرون على إنهاؤها.... هذا
يا عزيزتي يدل على أن حياتنا معا... ستكون حياة
غير عادية".

..وغير عادية كانت

صوت الناس...

منذ صغرها وهي تعلم بجمال صوتها . غنت في
الكنائس والمدارس وحفلات العائلة . كان حلمها أن
تكون مغنية ذات مؤهلات وخلفية علمية عالية . كانت
تعلم أن تحقيق أحلامها لن يكون سهلا. عملت في

صغرها كعاملة في جني القطن و كخادمة في البيوت
للتفوق على تعلمها للموسيقى والغناء في مدرسة
المبشرين الثانوية الخاصة. تخرجت بتفوق مما أهلها
للحصول على منحة دراسية بمعهد نيو انغلاند للموسيقى
. غطت باقي مصاريفها بالعمل في تنظيف المنازل
وكموظفة صغيرة في شركة بيع سلع بالبريد. تلقت
تشجيع من مدرسيها وزملائها مما عمق في داخلها
اليقين بمستقبل زاهر في عالم الغناء والموسيقى. ولكن
حياتها مع ذاك القس المناضل أسمعتها موسيقى من نوع
آخر .. فمنذ اقترانها به حتى موته المأسوي في العام
1968 تحولت الهتافات والمظاهرات وأصوات
الاحتجاج والاعتصامات إلى أنغام يومية تطرب لها
وترددها وتحياها. فمن مدينة مونتغمري بالآباما حتى
شارع فيلادلفيا بواشنطن دي سي ومن لوس أنجلوس
إلى شيكاغو عاشت التفاصيل الدقيقة لنضال السود في
أمريكا من أجل الحرية والخلص من عنصرية مقبلة
وغنت بصوتها الحسن التدريب أناشيد وترانيم الخلاص
، نظمت العديد من "حفلات الحرية الموسيقية" وغنت
فيها، كما ألقت المحاضرات وقرأت الشعر لجمع المال
لنشاطات حركة الحقوق المدنية... عزفت بصوتها
أعذب أنواع الموسيقى أحلام وأمال وانكسارات
الناس.

من أين له هذه السكينة...؟

كان التوتر يبدو واضحاً في وجوه المتظاهرين القلة..الذين كانوا يجوبون أحد أحياء البيض..ولكن الإغناء لم يحول بينهم وبين الغناء مطالبين بإنهاء الفصل العنصري وبالحقوق الكاملة للسود... كانت أفواج من البيض تطوقهم... الشتائم واللعنات تنهمر عليهم..تقتربهم عيون حاقدة وتتوعدهم الأيدي والوجوه.. كان مارتن في المقدمة كعادته تؤازره كوريتا وقد ارتدت أحلى ثيابها وعقدت شعرها في مؤخرة رأسها... ثمّة توجس وريبة فالحملات ضد زوجها... قد ازدادت حدة مؤخراً بعد خروج إدمار هوفر رئيس الـ F.B.I باتهامات جديدة وعننية له.. تأملت زوجها بطرف عينها..و تساءلت.. يا إلهي..من أين له هذه السكينة..... من أين له ؟....

قبلت زوجك...

في صباح ربيعي تجمع حوالي 3,200 شخصاً ينتقدون حماساً للمشاركة في فصل جديد من هذه الدراما التي ينسجها كينج...وقف أمامهم.... جال ببصره فيهم..وقال " أنكم هنا .. تصنعون التاريخ اليوم..تزرعون بشجاعتكم بذور المستقبل المضيء الذي سيراه أطفالكم

..رغما عن الحقد ..والكراهية...: ..فجأة .. أنطلق
شخص ما من الحاضرين نحو كينج .. ساد الارتباك ..
والهرج ..انفصلت الأيدي ..وتعثرت كوريتا وكادت أن
تقع .. لملت نفسها بسرعة واستدارت في وجل نحو
زوجها لترى امرأة في منتصف العمر ... تصيح وتقول
لها .. لقد قبلت زوجك .. يا سيدتي ... لقد قبلت مارتن
لوثر كنج...!!!" نظرت كوريتا إلى زوجها المرتبك
باعتراز ... اقتربا ..اشتبكت الأيدي .. وتعالى الأناشيد
....

سنعود ...

لحظات قليلة التي كانت تجمعهم .. هما والأبناء الأربعة
ولكن أشقها على النفس كان تلملمهم في أحد الفنادق
تحت حراسة مشددة من الشرطة بعد أن قذف الحاقدون
منزلهم بالقنابل وأحرقوه....منهكة ..متألّمة..حزينة
كانت آنذاك ... جلست على أحد الكراسي وهو تحتضن
طفلها الصغير. تتساءل .. هل من نهاية لهذا الأمر ؟..
هل سينتهي هذا العذاب ؟ .. هل من جوى..! عندما
صاحت إبنتها يولاندا بأبيها الذي كانت لتوه قد أنهى
مجموعة من المكالمات الهاتفية .. " هل سنعود إلى بيتنا

يا أبي .. هل سنعود...؟" ضحك أبوها .. أقترب منها..
ومسد بحنو شعرها الأجدد.. وهو يقول ...
" يولاندا .. لن نعود نحن فقط .. بل سيعود كل أبناء
جلدتنا .. سنعود ... لتتعمين أنت وإخوتك باللعب مع
أطفال البيض والسود...سنعود"...قامت كوريتا من
مقعدتها وهي تحتضن طفلها وتضمه بكتا يديها
...انطلقت نحو النافذة المطلة على الشارع .أزاحت
الستارة البنية..ورأت بأم عينيها بيت كبير ممتلئ بأطفال
بيض وسود وأسبان وصينييين وعرب .. أطفال
يشاغبون ... يمرحون ويضحكون في سرور... أحست
بذاك البيت يقترب وينتصب أمام ذاك الفندق المتواضع
المحروس بشدة من رجال الشرطة.....همست لنفسها
حتما سنعود .. تأملت زوجها الذي لازال يحدث يولاندا
..وشع في عينيها وهج من الكبرياء .

بنغازي 11-2005
نص

زهر الليمون...

بعد إتمام الصلاة
خرجنا من الجامع
أنا وشيخي
كان الجو دافئاً بعض الشيء
أنسام الرياح تداعب شجرة الليمون القابعة بإصرار أمام
باب المسجد.
رائحة زهر الليمون تحيي القلب.
"لقد أمطرت كثيراً هذا اليوم." كدت أن أقول لشيخي.
الذي كان ليرد "المطر بركة الخالق".
ولكنني لم أقل شيئاً.
صمته المهيّب يمنعني من التحدث.
اتجهنا بتمهل صوب الغرفة التي نسكنها معا.
جامعنا يقع في حي المغاربة.
يفصله عن سكنانا زقاق ضيق وطويل.
"هذه المدينة مليئة بالأزقة والبيوت المظلمة".
أحال المطر الزقاق إلى بحيرات صغيرة وجزر من
الأوحال والطين.
لم تغلح السحب الداكنة في حجب قرص الشمس
ثمة ضوء يتراقص على سطح الماء .
تخيلت قارباً مقيداً بمرقاً فسيح
مفتوح على بحر لا حدود له

"ما أجمل النوم على صفحة الماء".
تناهت إلي أصوات صبية صغار يتقاذفون بكرات الوحل
و رائحة توابل تتسلل من البيوت
ثمة خيال يتراءى من بعيد ..
اقتربنا

لمحت عيناى على عجل ملامح أنثوية
فتاة جميلة ترتدي ثيابا نظيفة ..
ابتسامة خجولة رسمت شفاتها
يدها النحيلة تلتصق بصدرها
بدت محتارة و مترددة في كيفية العبور بين الأرصفة..

.....

اقتربنا

غضضت البصر...

جالت عيناى في فوضى الطريق
أوحال تتقاذف وتلتصق بأحذيتنا
لازالت رائحة زهر الليمون تلاحقنا
وفجأة ...

تقدم الشيخ منها

مد ذراعيه لها ، وببطء وحرص حملها حتى الرصيف
الأخر.

صعقتني المفاجأة ...

غاص قلبي

جف حلقي.

وارتعشت يداى

ولم أقل شيئاً.
واصلنا السير بصمت...
انشغلت بحذائي الذي ازداد اتساخا
وبالأحوال التي كانت تتطايرا وتتراكم
وبعد عودتنا إلى الخلوة ...
لم أعد أحتمل
فاقتربت منه
مخترقا بصعوبة جدار الوقار الذي يفصلنا...
وقلت....

- سيدي الشيخ...
"ألا تعلم إننا نحن الزهاد لا نقرب من النساء ولا
نلامسهن؟ ألا تعلم الخطر في ذلك؟"
ساد الصمت قليلا و ثقيلًا..
أقرب الشيخ مني
وضع يده برقة على كتفي ، ثم قال
- أنا يا بني أنزلت الفتاة هناك.
فلم أنت..... لا تزال تحملها؟
انتابني السكون فلم أقل شيئاً
إحساس مبهم سرى في وجودي
اهتزت الستارة في الركن...فاستدرت نحو النافذة
كان المطر ما يزال منهمرا ... وكانت الأحوال تزداد
تراكما.
ورائحة زهر الليمون تعطر المكان.

سان فرانسيسكو 1986

أحمر.....*

.....

صدئت سيوفنا في أغمادها.

فهل يُغفر لنا....

زاد انحناء ظهورنا....

فهل يُغفر لنا....

من يا ترى يَغفر لنا ..

بوُسنا

وشقائنا.

لا أدري سر تعلقه بهذه الترنيمة.. أو سر افتتانه
بالوقوف على رأس التل الصغير المواجه لفناء بيتنا.
...نحيف..طويل القامة .. أحمر الشعر... وحيدا يناجي
الأشباح القابعة في رأسه..يبدو لي من بعيد كشجرة
غرست هناك، تهزها الرياح بين الحين والآخر....يظل
يخطب لساعات طوال ..أراقبه وأراقب جموعه الوهمية
...وأتساءل..

ترى ما الذي يحمله عقلك يا صغيري....؟

ترى ما الذي تحمله الأيام لك....؟

آه يا أحمر.....

لا زلت حين أراك .. أمد يدي لتداعب بطني

أتحسسها ...آه يا أحمر.... لازلت يا ملعون تسكنها.



كنا نعيش ببيتنا بأوماها حين حبلت بك ..لن أنسى ذاك
الحمل ..كنت أداعب بطني ككل مرة أحبل
فيها..أتحسسها ..أصنع دوائر حول صرتي..أداعبك يا
ملعون فكنت تداعبني أنت بقفزات قدميك داخلي
...نقرات صغيرة..ناعمة ..راقصة...ساحرة ..مثيرة...
يقشع لها بدني ..وتغمرنى لحظات صفاء...هذه المرة
حملي مختلف .. يقولون أن الحمل الخامس لا متعة فيه
.. دعني أخبرك سرا لم أقله لأحد ..دعني أخبرك ...
كان الحمل بك أرق من نسمات الصباح ..أتعرف يا
أحمر... كثيرا ما تمنيت تقبيل بطني ...كنت أبلى يدي
بشفتي وأضعهما حيث أعتقد أنه رأسك ...صدقني يا
مالكوم ..كنت أسمع ضحكائك ..لم أتمالك نفسي ..فكنت
أشاركك الضحك ..ونظل هكذا حتى الظهيرة ..حين
تأتيني أصوات إخوتك القادمين من مدارسهم ..فأهمس
لك بكلمات الوداع ...وأنا أعلم أنك ستصون
سري...ستصونهكنت أعلم ذلك.
ماذا أقول لك ...كان الحمل بك ..رائعا وناعما كالديباج
..ولم يكن يصدر عنك سوى الهزات المتناغمة أو
الضحكات المكتومة ... حتى كان ذاك اليوم.

.....

ترقب المرأة السوداء ذات الشعر الناعم الذي يشي بدماء
بيضاء أقحمت فيها... ترقب أبنها مالكوم وهو لا زال

يعتلي الهضبة ويخاطب حشوده الوهمية... ويترنم بين
الحين والآخر....

صدئت سيوفنا في أغمادها.

فهل يُغفر لنا....

زاد انحناء ظهورنا....

فهل يُغفر لنا....

من يا ترى يغفر لنا ..

بؤسنا

وشقائنا.

تهز رأسها أعجابا ..بينما يتوجس قلبها خيفة.... هذا
عالم الرجال البيض ... ليس لنا فيه سواء الشقاء
والصبر...

نعم يا مالكوم ..كنت أنت نعم الجنين ...حتى ذاك
اليوم.... لن أنساه ما حييت....

ذاك اليوم...مزق سكوننا ..رعب وشر مخيفين ...
صيحات حقد .. طلاقات رصاص ..وصهيل خيول
عرفت أنهم قادمون من أجل أبيك .. الكلوكس كلان
...لو لم تكن أنت ببطني لجمدت من الخوف وتيبست
من الرعب..ولكنني لم أفعل.

خطوت نحو النافذة....أزحت الستائر و تطلعت.. أنهم
هم..... يرتدون أقنعة الشر والقلنسوات البيضاء..
يطوقون بيتنا ويتصايحون...أتدري ما فعلت ...؟..
لازال أبيك يتهمني بالجنون حين أذكره بما حدث..

فتحت الباب وخرجت إليهم...وقفت أمامهم أتألمهم دون وجل أو خوف .أتطلع إليهم بملء عيناى.. أتطلع إليهم ويدي تلمس بطني المكورة أمامى....
- "زوجى ليس هنا..أنا وحدى مع أطفالى...زوجى ليس هنا "قلت لهم..

كنت كلما لمست بطني ازداد صوتى ارتفاعا ..وازدادت قوة و صلابة...كنت أحس بقدميك وهى تضغط على جدار بطني .كانك تريد الخروج لهم ... توقف صياحهم...لبثوا فترة صامتين.....تراجعوا ..ثم انطلقوا بعد أطلقوا تحذيراتهم ..وعددا من الأعيرة النارية.. ضللت واقفة حتى اختفوا عن ناظرى ..بقيت أمام شرفة البيت ..وأنا كالمسحورة...!!...عم السكون حولى وفجأة أحسست بوقع أقدامك داخلى يصبح ضربات غاضبة....ساخطة ..صاخبة.... متلاحقة...انتابتنى الأم حادة صرخت لشدتها ...يا إلهى ..ما هذه الثورة التى تعتمر داخلى ...

أدركت أنك غاضب ...كما أدركت آنذاك أنك أيها الأحمر ستكون غاضبا وللابد...
منذ ذاك اليوم ..صرت أحمل الغضب فى بطني

* أحمر هو الاسم المحبب لى مالكوم أكرس والذي كان يناديه به أصدقائه والمقربين منه . ولد هذا المناضل الفذ يوم 1925/5/19 وتم اغتياله يوم 1965/2/21.

موسوليني....!

- أتعرفون مبنى فندق قصر الجزيرة ؟..
- هزت الرؤوس تأكيدها ..
- واصل مدرس الاحتياط حديثه ..
- هل تعرفون لم تم تشييده..؟
- هزت الرؤوس نفيها..
- ذاك المبنى تم تشييده من أجل زيارة موسوليني؟
- اتسعت العيون دهشة وهي تتابعه....
- هل تعرفون من هو موسوليني؟
- باغتهم السؤال....
- خرج وارتابك...
- طأطأت رؤوس ..احمرت وجوه .. و ضاقت أعين..
- من منكم يعرف موسوليني؟....
- صمت ...
- أنت ..
- أصبع توجه إلى طالب في منتصف الفصل...
- من هو ...؟
- لحظات صمت مرعبة .. تجاسر بعدها التلميذ ...
- أياكون سائق في الفورمولا وان ؟....
- تعابير سخط .. و إشارة يد ..واحمرار وجه.
- أنت ...
- تلميذ آخر في مقدمة الفصل ...

- مخرج فيديو كليب !..
توالت الإجابات .. بين حيرة الطلاب ..وسخط
المدرس..
- أنت...
- لاعب كرة ...
- ممثل سينمائي...
- بطل رسوم متحركة ..
توقف التساؤل...
زال الهمس...
جرس الحصة يدق ...
غادر الطلاب ...
بقى وحيدا
يطالع من بعيد... مبنى فندق قصر الجزيرة.

سهرة عائلية...

دنت أختي " مدرسة الجغرافيا " من شاشة التلفزيون،
ووضعت فوقها نموذج يمثل الكرة الأرضية..
التفتت نحونا وقالت بزهو ونبرة استعلائية.. " هذا ليتذكر
الجميع .. فالأرض كروية ..."
حرك أبي رأسه..

ثم قال بصوت تعمد أن يكون مسموعا لأمي.....
" هذا كلام فارغ. لو كان الأمر بيدي لمنعت الأولاد من
الذهاب إلى المدرسة ."

..... رمق أمي ومد يده لتداعب ما تبقى من شواربه في
انتظار ردا منها..

ولم يطل الانتظار...
" الأرض كرة .. كرة ترتاح على قرن ثور ... هذا
شيء معروف من أيام سيدنا سليمان" قالت أمي منحازة
كالعادة لأبنتها.

جدتي .. لم تقل شيء .. مدت يدها نحو " براد" الشاي
.. وسكبت فيه قبضة من النعناع...
ثم نظرت متسائلة نحو جدي...الذي تحدث بصوته
الآمر ...

" .. دع عنكم هذا الهراء .. فالأرض هي الأرض ...
نُضيع العمر ونحن نلهث لشراء " إرب " ... منها .. ثم
يضيع العمر ... فتمتلكنا هي بالمجان...".

المحتويات

5 الرجل الشجرة -
11 الرحلة. -
15 سيد الموقف. -
19 صوت الناس -
25 برتقالي. -
35 عفوا هدى -
39 أصفر. -
41 عيون الكبرياء. -
51 زهر الليمون. -
55 أحمر -
57 موسولينى -
61 سهرة عائلية -

سَيُورُ الْكِبَرَاءِ

